Kuran Kıssalarında Takdim ve Tehirin Delilleri Etkisi*

Safiye ALREFAAİ
safiyealahmad55@gmail.com
https://orcid.org/0000-0001-8508-102X

Özet

Kur'an kıssaları ayetlerinin tertibine bağlı olarak söz konusu ayetlerde murat edilen mananın açıklanmasına, sözün fesahatine etkisi olan takdim-te'hir meselesi belagat ve beyan ilimlerinin temel faktörlerinden birisidir. Birçok kelime bulunduğu yerden takdim veya te'hir edilirse manası ve ahengi bozulacaktır. Mananın bozulmadığı durumlarda bile en azından Arap dili fesahatini ihlal edecektir. Her kelimenin cümle içerisinde bulunduğu yere göre özel bir manası vardır. Araştırma, Kur'an kıssalarının ayetlerinin incelenmesine, tahlil edilmesine, takdim ve te'hir konusunun edebi tahlillerine ve Kur'an kıssalarının oluşumuna etkisini açıklamaya dayanmaktadır.

Anahtar Kelimeler: *Delalet, takdim, te'hir, kıssa oluşumu.*

The Connotations for Words and Information Arrangement and Its Effect on the Storytelling of the Holy Quran

Summary

The issue of displaying the information and words (which one comes first and which one after) and everything related to the arrangement and organization of the stories in the Holy Qur'an, and also all the indications which have effects in

* Makale geliş tarihi / received: 26.03.2020
Makale kabul tarihi / accepted: 07.05.2020
DOI: 10.17932/IAU.ARAP.2019.020/ayad_v02i1004

clarifying the meaning of the verse and also the effects on eloquence, in addition to that it is considered one of the important elements of rhetoric.
There are many words in the Holy Qur'an. If you do not put them in the right order they will give wrong meanings, and we will lose the beauty of their real meanings. It also shows that you do not know the basics of the correct Arabic expressions. Every single word has its own place and meaning.
This research is based on the study of the stories of the Holy Qur'an in order to analyze and deduction of rhetorical connotations, and shows its effects on the storytelling.

Keywords: *Semantic, words order, storytelling*

أثر التقديم والتأخير من علم المعاني على البناء القصصي في القرآن الكريمِ

صفية الرفاعي

ملخص البحث

إن قضية التقديم والتأخير وما يتعلق منها بنظم وترتيب آيات القصص القرآني، وما تحويه من دلالات لها أثر في بيان معنى المراد من الآية، وأثر في فصاحة الكلام، ومن أهم مقومات البلاغة والبيان، وكثير من الكلمات لو قدمتها أو أخرتها عن محلها لفسد عليك المعنى وضاع جماله ورونقه، أو على أقل تقدير كنت مخلا بأساسيات التعبير العربي الفصيح، فلكل كلمة في موضعها من الجملة معنى، متقدمة كانت أو متأخرة. ويأتي هذا البحث في أنه يعتمد على النظر في آيات القصص القرآني، وتحليلها واستنباط الدلالات البلاغية للتقديم والتأخير منها، وبيان أثره على البناء القصصي.

الكلمات المفتاحية: دلالات، التقديم، التأخير، البناء القصصي.

المقدمة

ما عُرفت أمةٌ على وجه الأرض، تُعْنَى بفصاحة الكلمة، وبلاغةِ الأسلوب في خُطبها وأشعارها مثل أمة العرب، ومن فرط عنايتها بذلك كانت تُقيم أسواقاً، تُعْرَضُ فيها الخطبُ الطَّنَّانَة والقصائدُ الرَّنَّانَة، التي يَتَبَارَى بها كلُّ خطيبٍ مِصْقَعٍ، وشاعرٍ مُفْلِقٍ، وتُضْرَبُ الخيام للحكام الذين يحكمون بالصواب، ويَنطقون بفصل الخطاب، وكان هؤلاء الحكام ينون أحكامهم على قواعدَ وأصولٍ، وُضِعَت في قوالبَ قاعديةٍ عند علماء النحو والبلاغة في عصر التدوين، ويَنْفَضُّ المتبارون والمشجعون بَعْدُ، مقتنعين – على حدٍ سواءٍ – بتلك الأحكام الصادرة عن أساطين الفصاحة والبلاغة، وكان قَصَب السَّبق في تلك الأحكام لأسلوب التقديم والتأخير. وإنَّ الكلمةَ القرآنيةَ تختلف عن سائر الكلام؛ لما تحمله من رؤىً ومعانٍ متدفقةٍ، تضفي على النص جماليةً في مكانها المخصوص، وفي سِياقها المخصوص، فكأن هذا المكانَ، وهذا الموقعَ مرهونٌ لهذه الكلمة، وموقوفٌ عليها بعينها؛ لإبراز المعنى المراد في قوةٍ وجلاءٍ وتأثيرٍ بالغٍ بأوسع نطاق

وأنَّ أي كلمةٍ سواها، لا تستطيع تأديةَ المعنى نفسِهِ وافياً بالمستوى نفسه الذي أدته الكلمة الأولى، ولا قريبٍ منه، كما أن الكلمة ذاتَها على فَرْضِ الْمُحَالِ، لو وضعت في غير هذا الموضع، لجاء المعنى مشوهاً، ترفضه العقول، وتتحاماه البصائر، كما أنَّ لأسلوب التقديم والتأخير سمةَ التغلغل والانتشار في سياقات القرآن الكريم كافةً، سيما في الحوار القصصي، وما كان لقصة أن تسبق أختها إلا لنكتةٍ بلاغيةٍ، ودِلالةٍ معنويةٍ ذاتِ أهميةٍ بالغةٍ.

أسباب اختيار موضوع البحث:

1. عندما كنت أقرأ البلاغة كمادة من مواد المنهاج الدراسي كانت تَشُدُّني إليها كثيراً لما فيها من لَفَتَاتٍ ونِكَاتٍ تكمُن وراءَ العبارة مما يُثري المعنى.

2. كان أسلوب التقديم والتأخير من أكثر أبحاث علم البلاغة لفتاً للنظر لما يحمله من معانٍ وإيحاءاتٍ ثَرَّةٍ مما حمل ابن جني على أن يضع في كتابه (الخصائص) عنواناً عريضاً سماه (باب في شجاعة العربية). قال تحته: "اعلم أن معظمَ ذَلك إنما هو الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحَمل على المعنى والتحريف".[1]

3. القرآن الكريم عندما تحدى العرب ما تحداهم بإعجازه العلمي ولا الغيبي ولا التشريعي بل بإعجازه البلاغي فقال:" فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ "[2] ثم بت بالنتيجة القاهرة فقال:"قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ "[3] مما شدني بقوة إلى كل ما يمت إلى الدراسات البلاغية بصلة.

4. مِنْ طَبْعِ الإنسان أن يكون مشدوداً في كلام المتكلم للقصة الهادفة أكثر من غيرها، فكيف إذا كانت القصة التي تشتمل على أعلى درجات الكمال وجلال المعنى من قصص القرآن المعجز الذي صدر من عند من يقول:"نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ "[4]و قال:" لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ "[5]

---

[1] أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ)، الخصائص، ط:4، (القاهرة: الهيئة المصرية للكتب)، 2 /326

[2] البقرة:23

[3] الإسراء:88

[4] يوسف:3

[5] يوسف:111

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في الإجابة عن السؤال الرئيس: ما دلالات التقديم والتأخير؟ وما أثره على البناء القصصي؟ وينبثق عن هذا السؤال الأسئلة الفرعية التالية:

1 ما دلالات التقديم والتأخير في القصص القرآني؟

2 ما أثر التقديم والتأخير على البناء القصصي؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث من حيثُ أنه يتعلق بِنَظْمِ وترتيبِ الكلمات في آيات القصص القرآني، وما يحويه ذلك من دِلالاتٍ، كما أن موضوع النظم والترتيب له الأثر البالغ في تحديد المعنى المراد من الآيات، وأثرٌ أبلغُ في فصاحة الكلام، وهو في الوقت نفسِه من أهم مُقومات الإعجاز البلاغي، ولو سُلِكَ في الترتيب غيرُ الوجه المطلوب لفسد المعنى، أو ذَهَبَ رونقُه وبهاؤه، أو على أقل تقدير كان مخلاً بأساسيات التعبير العربي الفصيح. ومما يزيد البحثَ أهمية أن كل من كتب في التقديم والتأخير في القرآن الكريم – حسب ما اطلعت عليه – إنما تناوله إجمالاً في جميع القرآن، وهذا يعني أنه لم يأخذ حقه الوافي من الدراسة المفصلة في القصص القرآني بخصوصه.

أهداف البحث:

تبرز أهداف البحث من خلال:

1 . بيان دلالات التقديم والتأخير في القصص القرآني.

2. بيان أثر التقديم والتأخير على البناء القصصي.

حدود البحث:

تتبع الآيات في القصص القرآني التي ورد فيها التقديم والتأخير وبيان الدلالات البلاغية فيها وبيان أثر التقديم والتأخير في البناء القصصي.

الدراسات السابقة:

لم تطلع الباحثة على دراسة خاصة تناولت موضوع التقديم والتأخير من حيث بيان الدلالات البلاغية وأثر التقديم والتأخير في القصص القرآني، وهناك دراسات توجهت لدراسة أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم إجمالاً، أو بجزئية منه، وسأكتفي بالتعريف عن أهم الدراسات

1. أحكام التقديم والتأخير في القرآن: دراسة نحوية تطبيقية، تأليف يوسف سمية عثمان علي، رسالة ماجستير من جامعة أم درمان، عام 1425هـ/ 2004

تناولت الدراسة: التقديم والتأخير في بعض المرفوعات مختارة منها ما يتجلى فيها بشكل واضح هذا الأسلوب، ولها أمثلة في القرآن، وكانت موضع نقاش لدى كثير من النحاة، وكذلك المنصوبات.

وخلصت الدراسة إلى: أن هناك أشياء لا يجوز التقديم والتأخير فيها مثل الصلة على الموصول، وأن قضية التقديم والتأخير قد ناقشها كثير من النحاة وعلى رأسهم سيبويه، وأن أكثر متعلقات الفعل وروداً في القرآن الجار والمجرور وبعدها المفعول به، وأن من أهم أسباب التقديم الحروف التي لها الصدارة والظرف والجار والمجرور.

2 . دلالة التقديم والتأخير في الثنائيات الضدية في القرآن الكريم دراسة تحليلية دلالية. إعداد الطالب حيدر يوسف فرحان الخوالدة، رسالة ماجستير، الجامعة الهاشمية، الأردن، لعام 2014م

تناولت الدراسة: مسألة التقديم والتأخير في الثنائيات الضدية في القرآن الكريم، وحاولت هذه الدراسة الوقوف على أسباب التقديم والتأخير ومفهوم التضاد وأهميته في البناء اللغوي وأهم آراء علماء اللغة في التقديم والتأخير وتناولت الجانب التطبيقي حيث اختارت أبرز الضديات التي ورت في القرآن وحللتها دلاليا

وخلصت الدراسة إلى: أن التضاد له أثر بالغ في فهم التركيب السياقي، حتى إنه أصبح أسلوبا واضحا عند كثير من اللغويين والأدباء والشعراء وله تأثير واضح في مكنونات النص.

وتميزت رسالتي عن الدراسات السابقة بعدة أمور لم تجتمع في أي دراسة سابقة حسب ما اطلع عليه الباحث منها:

1. ظاهرة التقديم والتأخير في القصص القرآني حصرا من ناحية بلاغية.

2 . دلالات التقديم والتأخير.

3 . وأثره على البناء القصصي.

وهذا ما لم تدرسه الدراسات السابقة حيث بعضها تناول الموضوع من ناحية لغوية نحوية، وبعضها اختص بسورة محددة أو بجزئية كمتشابه القرآن، أو الضديات في القرآن، وما تناول منها القصص القرآني، تناول الإعجاز البلاغي في قصة واحدة، كقصة سيدنا موسى، أو تناول أثر دلالة السياق في القصة القرآنية.

منهج البحث:

يعتمد البحث على تحليل واستنباط الدلالات البلاغية للتقديم والتأخير، وبيان أثرها على البناء القصصي، فهو منهج وصفي تحليلي، يركز على الاستقراء لآيات القصص القرآني، من أجل الخروج بنتائج موضوعية بحتة، وذلك تبعا لما نصت عليه بعض مناهج البحث الحديثة وبخاصة ما يتعلق منها بالدراسات القرآنية.

دلالات التقديم والتأخير في القصص القرآني

إن التقديم والتأخير لا يمكن أن يؤدي غرضه إذا استخدم بشكل عشوائي، وإنما يحتاج إلى من يتمكن من معرفة دقائقه، ويستطيع أن يسبر أغواره.

ولا يتمكن من السبق في هذا المضمار إلا صاحب علم غزير، وإلمام واسع بمفردات اللغة وأسرار تراكيبها، حتى يستطيع أن يبين بالإشارة، ما تعجز عن توضيحه العبارة، وهذا شيء صعب المنال إلا من سهل الله عليه طريقه، وفتح له مغاليقه، لذلك لا تكاد تحس بأثره واضحاً في غير القرآن الكريم[6]

ثم إن أسلوب التقديم والتأخير لا تظهر قيمته الفنية إلا إذا وظفه الأديب أو الشاعر في تجسيد أغراض فنية خاصة لا تتأدى بغير ذلك الأسلوب.

وإذا نظرنا إلى التقديم والتأخير في القصص القرآني وجدنا أن القرآن الكريم بلغ أعلى الدرجات فيه، كما هو الحال في سائر الأساليب البلاغية.

[6] عبد الجليل عبد الرحيم، لغة القرآن الكريم، ط1، (الأردن: الرسالة الحديثة،1401هـ. 1981م)،331

وقد بلغ القرآن الكريم الذروة في وضع الكلمات الوضع الذي تستحقه من التعبير بحيث تستقر في مكانها المناسب. ولم يكتف القرآن الكريم في وضع اللفظة بمراعاة السياق الذي وردت فيه، بل راعى جميع المواضع التي وردت فيها اللفظة، ونظر إليها نظرة واحدةً شاملةً في القرآن كله. فترى التعبير متسقاً متناسباً مع غيره من التعبيرات كأنه لوحةٌ فنيةٌ واحدةٌ متكاملةٌ مكتملة.[7]

إن التقديم والتأخير في القرآن يحمل في طياته مزيداً من الخفايا والأسرار، والذي أريد أن أنبه إليه أن القرآن قد حوى أسراراً جمة في التقديم والتأخير، وما ذكره العلماء منها شيء يسير بالنسبة لحقيقتها، وقد يكون في الموضع الواحد أكثر من حكمة أو فائدة.[8] إن هذا التعبير يدل دلالةً واضحةً على فخامة التعبير القرآني وعلوه، كما يشير إشارة جلية على أن كل لفظ فيه وضع وضعاً فنياً مقصوداً، فالقرآن الكريم "دقيق في وضع الألفاظ ورصفها بجنب بعض دقة عجيبة، فقد تكون له خطوط عامة في التقديم والتأخير، كل ذلك مراعي فيه سياق الكلام، والاتساق العام في التعبير على أكمل وجه، وأبهى صورة"[9] والقصص القرآني كغيره من سور القرآن لا يخلو من التقديم والتأخير، فإذا ما قلبنا آياتها، وتنقلنا بينها، وجدنا نماذج متنوعةً لأساليب التقديم والتأخير، ورأينا من خلالها روعة النظم القرآني الذي يعجز أن يكون في مقدور البشر.

---

[7] فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، ط4، (عمان: دار عمار، 1427هـ. 2006م)، 52

[8] محمد رواس قلعه جي، لغة القرآن الكريم، مرجع سابق، 331

[9] فاضل السامرائي، التعبير القرآني، مرجع سابق، 53

التقديم للعلة والسببية: وهو التقديم المعنوي، الذي يكون فيه الترتيب للألفاظ تابعاً للمعاني، أي" أن يقدم والمعنى عليه، أو يقدم وهو في المعنى مؤخر، أو بالعكس"[10] ويتمثل في ((تقديم الأسباب على مسبباتها))[11] ومنها: قوله تعالى:" وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ "[12] حيث قدم ذكر الربوبية؛ لأنها سبب التوجه إلى الله . سبحانه وتعالى . بالعبادة، ونتيجة الإقرار لله بالربوبية، هي إفراده بالعبادة. قال تعالى: "وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا[13] فتقلب الكفين . وهو كناية عن الحسرة والندامة .كان بسبب إهلاك جنته وثمره، وبعبارة أوضح: إهلاك جنته سبب في ندمه وحسرته.

التقديم والتأخير لمراعاة السياق

إن الناظر في السياق القرآني يجد هذا الأسلوب هو " مادة الإعجاز في كلام العرب كله، ليس من شيء إلا وهو معجز، وليس من هذا شيء يمكن أن يكون معجزاً، وهو الذي قطع العرب دون المعارضة[14]، والسياق القرآني ويحوي على خصائص تركيبية تفوق لغة البشر قوة، وسياق التقديم والتأخير

[10] محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (توفي: 794)، (بيروت:1391هـ)،238/3

[11] يحيى بن علي بن إبراهيم، المؤيد بالله الحسيني العلوي الطالبي، (توفي:745هـ)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ط:1، (بيروت: المكتبة العصرية1423هـ) 33/2

[12] مريم: ٣٦

[13] الكهف:42

[14] مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، (توفي: 1356هـ)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط:8، (بيروت: دار الكتاب العربي 1425هـ. 2005م)، 131/1

واحد من خصائص القرآن وفرائده، سيق لإبراز مقام الموقف بعمقه، وسنقف بإذن الله مع السياقات بآيات القصص القرآني.يأتي منها تقديم العزة على الحكمة في السياقات التي تتحدث عن قدرة الله و وحدانيته وذلك في قوله تعالى: " إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ " [15]وفي مقام الحديث عن كلام الله تعالى والقرآن الكريم وتنزيله من السماء يتقدم أيضا ذكر العزيز على الحكيم في قوله تعالى:" وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ [16]

فلو جعلت الأشجار التي في الأرض أقلاما لكتابة كلمات الله، وجعل مدادها البحر المتصل بمدار سبعة أحرف أخرى، وكتب بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله، فإن تلك الأقلام ومعها المداد تنفذ دون أن تنفذ كلمات الله. [17]

وربما جاءت آيات أخرى حاملة في سياقاتها أسلوبا آخر على خلاف ما سبق، تقدم فيه (العليم) على (الحكيم) لعله يقتضيها السياق. قال تعالى: "ٱ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ

---

[15] المائدة:118

[16] لقمان: ٢٧

[17] أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، 508/3

فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ "[18] قدم الشقي على السعيد؛ لأن الكلام ورد في سياق التحذير من الظلم والتخويف من عذاب الآخرة، وهذا يقتضي تقديم الشقي، لأن تقديمه في مثل هذا المقام أعون على الزجر وأبلغ في التحذير والتخويف.[19] قال تعالى: "وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ "[20] فسبق الحكم هنا العلم، لأن هذا التفضيل مظهر للحكمة ثم عقب بعليم ليشير إلى أن ذلك الإحكام جار على وفق العلم.[21]

التقديم للتخصيص والقصر

والتقديم للتخصيص، يفيد في مواضع زيادة في المعنى مع تحسين في اللفظ، وإليه المرجع في فنون العربية، ويفيد الزيادة في المعنى فحسب في مواضع أخرى، وذلك حسب السياق، إلا أنه في كل حالاته يضفي على الكلام إيجازا، وهذا الغرض كثيرا ما يكون في باب تقديم المفعول به على فعله، لأن هذا الضرب من التقديم غالباً يفيد الاختصاص، ومنه قوله تعالى:" يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ

[18] هود:105

[19] أبو بكر، إبراهيم بن عمرو بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، (توفي: 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، (بيروت: دار الكتب العلمية 1415هـ. 1995م)،579/3

[20] الأنعام: ٨٣

[21] محمد الطاهر بن محمد التونسي ابن عاشور، (ت:1393م)، التحرير والتنوير، ط: التونسية (تونس: دار سحنون 1997م)،336/7

عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّـٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾"[22]. وهو منصوب بفعل تقديره إيَّاي (ارهبوا) فارهبون، ويجب تقدير(ارهبوا) لأنه من غير الممكن أن يعمل فيه (فارهبون) المذكور في الكلام؛ لأنَّه مَشغولٌ بمفعوله وهو الياء المحذوفة، ولذلك يجب تقدير فعل بعد (إيَّاي)؛ لأنَّه من الضمائر المنفصلة، والضَّمائر المنفصلة على هذا التقدير يعمل فيها ما بعدها لا ما قبلها؛ لأنَّه لو كان الضمير قبل الفعل؛ لوجب أن يتصل به لا أن ينفصل، ويمكن أن يرد ذلك في ضرورة الشعر فقط[23]

ومن ذلك قوله تعالى:"ٱ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٩﴾"[24] حيث قدم الجار والمجرور (عليّ) على المسند(هيّن) لأنَّ سِياق الموضوعِ يتعلَّقُ بالله وقُدرته، فدلَّ التَّقديم على الاختصاص، فكأنَّه يقول: (هو عليَّ هيِّن)، وإن كانَ صعباً عليكم أن تَتَصوَّرُوا أن يُولد غلامٌ لرجلٍ هرِمٍ وامرأةٍ عَاقِر.[25].

أثر التقديم والتأخير في البناء القصص من خلال:

أولاً: مراعاة الترتيب الزماني

قال تعالى:"ٱ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ

[22] البقرة:40

[23] شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، (توفي: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط:1، (بيروت: دار الكتب العلمية 1415هـ)،403/7

[24] مريم:9

[25] ينظر، عبد الرحمن بن حسن حبنَّكة الميداني، (توفي:1425)، البلاغة العربية، ط:1، (دمشق: دار القلم1416هـ .1996م)،384/1

وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ "[26] جاء الترتيب في هذه الآيات حسب الترتيب الزمني للقصة بأسلوب بلاغي أعطى القصة بُعداً زَمنيَّاً ونَفسِيَّاً غير ما يجري عادةً في الأسلوب القصصيّ الذي يَنْتَهِجُه الكُتَّاب، فبدأ أولاً يُذَكِّرهُم بما حقَّق لهم من الانتصارات في معارك ماضيةٍ على رأسها بدر التي قال فيها:" وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ "[27] وغيرها كثير. ثمَّ ثَنَّى بِما أصَابَهم يوم حُنين مِن العُجب بالكَثرة العَدَدِيَّة التي لم تُغْنِ عنهم شَيئاً، والتَنكِيرُ في(شيئاً) للتَقْلِيل، أي: لم تُغنِ عنكم كَثْرَتُكُم لا كَثير ولا قَليل، و ثَلَّثَ بما أصَابَهم من الذُعر والهَلَع حين شَدَّ عليهم العدوُ الكَامِن لهم في مُنعرَجَاتِ وَادي حُنَين في غَسقِ الليلِ، فَضَاقَت عليهم الأرض بما رَحُبت فلم يقوموا لهم حَلب نَاقة بل وَلَّوا مُدبرين حتَّى كاد بعضهُم يحَطِّمُ بعضاً من شِدَّة التَدافُع والهَلَع، ولم يَثبُت إلا رسول الله ومعه نحو عشرة فقط، ثمّ أضافَ الحق –سبحانه– أنَّه أنَزل سكينته على رسوله وعلى الذين آمنوا، وأرسل إلى أرض المعركةِ جنوداً أُولي بَأسٍ شديد، لا قِبَلَ لأحَدٍ بها؛ لعلَّ منها الرُّعب الذي أُعطيْه رسول الله مسيْرة شهر، ومنها الملائكة،" وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ"[28] ، وعَذَّب الله بهذه الجنودِ الإلهيةِ الذين

[26] التوبة: ٢٥ – ٢٦

[27] آل عمران: ١٢٣

[28] المدثر: 31

كفروا، وذلك جزاءُ الكافرين.[29] واستخدم الحقُّ – سبحانه- حرف العطف (ثم) المفيد للترتيب والتراخي[30] مُكَرَّراً ثلاث مراتٍ، مرَّة بَين ضِيق الأرض على المؤمنين، وبَين توليهِم مُدبرِيْن فقال:" وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾" [31]، ومرَّةً بَين تَوليهم وبين إنزال السكينة عليهم فقال:"ٱ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ [32]، ومرة بين إنْزالِ السَكينَة على المؤمنين وبين تَوبة اللهِ على منْ يَشاء ممَّن عَلمَ اللهُ منهم تَأَهُّلهم لتوبَته عَليهم فقال:" ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾[33]. والملَاحَظُ أنَّه لم يكنْ بين شُعورِ المسلِمينَ بضيقِ الأَرضِ عليهمْ وبينَ تولِّيهم مُدبرين، ولا بين تَوَلِّيهم وبين إنزَالِ السَكِينةِ عليهم، ولا بينَ إنْزَالِ السَكِينة وبين عِلْمِ اللهِ تأَهُّلهم لِتَوبَتِه عليهم مُهلَة، ولكنْ لما كانَ الوقتُ يمرُّ عليهم ثَقيلاً، وتُحسُّ به أنفسهم طويلاً، حتى كأنَّ اللحظةَ فيهِ كيومٍ وليلةٍ عَبَّرَ عنه الحقُ –سبحانه – بـ (ثمّ) الدالة على التَراخي. ولا يخْفَى أنَّ تسلسُل الأحداثِ جاءَ مُتناغِماً مع ترتيبِها الزَمنيّ.

---

[29] ينظر، الصابوني، صفوة التفاسير،492/1

[30] ابن عاشور، التحرير والتنوير، 157/10

[31] التوبة:25

[32] التوبة:26

[33] التوبة: 27

[34] التوبة:28

ثانياً: مخالفة الترتيب في ذكر الأحداث

ما جاء في قصة إهلاك قوم لوط في سورة الحجر حيث بدأت القصة بقول الحق سبحانه:" ۞ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قدم المفعول به (ألَ لوطٍ) هنا على الفاعل (المرسلون) بينما أُخِّرَ المفعول في سورة هود في قوله تعالى:" وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا[35]، وإنما قُدِّمَ المفعول هنا في سورة الحجر ليدُلَّ عَلى أنَّهُ الأَهمُّ وأنَّ مَدارَ القصَّةِ عليه وأنّهُ المقصودُ بالذِّكرِ والمِعْنِيِّ بالحديثِ، فالمِدارُ إذنْ على نبيِّ اللهِ لوطٍ فَرُسُلُ اللهِ جاءَت إليه، وهُوَ الذي تعَرَّفَ عَليهِم، وهم قد أُرسلوا إليهِ حصْرًا؛ لِيُعْلِمُوه بمَا سيَحدُثُ لِقَومِهِ، وهو الذي طُلِبَ منه أنْ يَسِيرَ بِأهلِهِ، وأنَّهُ هو الذي خَافَ على ضيفِه، وهو الذي قال له قومه أَوَلَم نَنْهَكَ عن استضافَةِ أحَدٍ عنْدَك؟ بينما في سورة هود قُدِّمَ الفاعلُ."ۚ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا "؛[37] لأنَّ المدَارَ والتَّكِيزَ كانَ على الرُّسُلِ فَهُم محْوَرَ العُقْدَةِ في القِصَّة، وهم السَّبَبَ فيما حَصَل لهُ مِنْ ضِيقٍ ومن أجْلِهِم كانَ اليومُ عَصِيبَاً، ومنْ أجلِهم كانَ مجِيُء السُّفهاء، وكانَ الحِوارُ الطَّويلُ الذي دارَ بين نبيِّ اللهِ لوطٍ وبينَ سُفهاءِ قومِه في شَأنِهِم، فكانَ حسْبَ قاعدةِ تَقديمِ الأهَمِّ لابُدَّ من تقْديمِ الفاعل وهو (رسلنا).

ومن ناحية أخرى كانَ الترتيبُ المنطِقيٌّ لأحداثِ قصَّة قومِ لوطٍ – عليه السلام – من حيثُ الزمنِ يقتضِي أنْ يكونَ حسْبَ وُرُوْدِهَا في سورة هود، وذلك أنَّ نبيَّ اللهِ أوَّلَ ما رَأى رُسلَ اللهِ سِيء بهم وضَاقَ بهم ذَرعاً خَوفاً عليهم من سُفهاءِ قَومه، ثم جاءَه قومه فقال: يا قومِ هؤلاءِ بَناتي هُنَّ أطهَر لَكُم: فقالوا: ما لنا في بَنَاتِكَ من حقٍ، قال: لو أنَّ لي بِكُم قوةً أو آوِي إلى رُكْنٍ شَديد، وهنا طَمأَنُوهُ عندما أَخبَرُوه أنَّهم رُسلُ ربِّه، ثمَّ أَمَرُوه أنْ يَسيرَ بجميعِ أهلِه في هَدأَةٍ من الليل إلَّا امرأته فإنَّه مُصيبُها ما أَصَابهُم، ثمَّ حدَّدُوا لهُ سَاعةَ الصِّفرِ الَّتي يبدَأُ فيها شَنُّ الغَارةِ عليهم، إنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ، بينما نُلاحظُ الترتيبَ قد اختلفَ في سورة الحجر فقد بَدأتِ القصَّةُ بتَعَرُّفِ نبيِّ اللهِ لوطٍ عليهم فقال: "إِنَّكُمْ

[35] الحجر :61

[36] هود: 77

[37] هود:77

قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ" أي لا أَعرِفُكُم فمَنْ أنتُم فبدأوا بِذكرِ المهمَّةِ التي أُرسلوا منْ أجلِها "قَالُواْ بَلۡ جِئۡنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمۡتَرُونَ ٦٣ وَأَتَيۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٦٤ " ثمَّ أمرُوه أنْ يخرُجَ بأهلِهِ أجمعين، ولم يستثنُوا امرَأتَه كما حصَل في سورة هود، ثم حَدَّدُوا لهُ موعدَ الهجومِ، أَنَّ دابِرَ هؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ وعَلِمَ بهم قومُه الأشرار قال تعالى:" وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٦٧ " هكذا بصيغة التعميم؛ لأنَّهُ لم يَبقَ فيهم رجلٌ رشيد فنَاشَدَهَم ألَّا يخزُوهُ في ضَيفِهِ فلمَّا لم يَرعَوُوا عَرَضَ عليهم بنَاتِه أنْ يتَزوجُوا بهنَّ حَلالاً أو أرادَ بناتِ القبيلةِ بوصفِهِ بمقامِ الأبِ للجميع، وهذا يَدلُّ على أنَّهُ لم يَتعرَّف على ضيُوفِه، وإلَّا لما انْتَابَهُ كلُّ هذا الذُّعر خَوفاً عليهم، ولما تَوَسَّل إلى هؤلاءِ السُّفهاءِ بعرضِ بناتِه عليهم، وبينما قومُه في سَكرَتِهم يَعمهوُن قال تعالى: "فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ٧٣ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ٧٤ " وهنا انتهت القصة. وقد يَسألُ سائلٌ لِمَ لَمْ تأت القصَّة في سورة الحجر مُتسلسِلةً حَسْبَ ترتيبِ الأحدَاث زَمنيّاً كما في سورة هود؟ الجواب: أنَّ الله – جل جلاله – قَدَّمَ هنا مَعرفَةَ نَبيِّه لوطٍ – عليه السلام –برِسلِ الله، وبالمهمَّةِ الَّتي جَاؤوا منْ أجلِها قبْلَ قُدومِ السُّفهاءِ مع أنَّ هذهِ المعرفةِ حسْبَ الترتيبِ الزمنيِّ لم تحصل إلا مُؤخَّراً كما أَكدَت ذلك سورة هود كأنَّ الله يقول لنبيِّه كانَ ينْبَغي لك – وأنت تأْوِي إلى رُكنٍ شديدٍ وهو الله – ألَّا تُباليَ بهؤلاءِ المفسِدين ولا تُقيمَ لهم وزناً، ولا ينتَابُك الخوفُ كما لو كنتَ قد علمْتَ بأنَّ ضُيوفَك هم رُسل ربِّك جاؤوا لتَدميرِ قومِكَ الذين صارت الطَّهارةُ عندهم سُبَّةً وتُهمةً بل جريمة يُعاقَبُ عليها المتطهرون بالنفي من البلد وسحبِ الجنسيةِ وتأميمِ الممتلكاتِ قال تعالى حكاية عنهم:" أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ٥٦ "[38] وهكذا دائماً لا يُقدَّمُ في كلام اللهِ شيءٌ ولا يُؤخَّرُ إلَّا لحكْمَةٍ يُريدُهَا اللهُ سُبحانه.[39]

[38] النمل:56

[39] ينظر، الزمخشري، الكشاف، 2/544 .574 و 2/390 . 393

النتائج :

1 . ينبغي عدم البَتِّ والقطعِ في تحديدِ الدلالة البلاغية لنوعٍ من أنواعِ التقديمِ والتأخيرِ في آياتِ القصص القرآني، بحيث لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها؛ لأن الأمرَ في نهايةِ المطافِ مَحْضُ اجتهادٍ تختلفُ فيه الأَنْظَارُ، بينما يبقى المعنى الحقيقي وَقْفَاً على الله.

2 للتقديم والتأخير أثرٌ بالغٌ في بناءِ النص في القصص القرآني، من حيثُ ترتيبُ الأحداثِ داخلَ القصةِ الواحدةِ حَسْبَ وقوعِها زمانياً، أو تقديم ما وقع مؤخراً على سَابِقِهِ، أو البُدَاءَةُ بالنتائجِ قبلَ الشروعِ في القصةِ؛ استعجالاً لأخذِ العبرةِ ومعرفةِ سننِ اللهِ في خلقهِ.

المصادر والمراجع

الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، (توفي: 1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط:1، (بيروت: دار الكتب العلمية 1415هـ)

أبو بكر، إبراهيم بن عمرو بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، (توفي: 885هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، (بيروت: دار الكتب العلمية 1415هـ . 1995م)

الزركشي محمد بن بهادر بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، (توفي: 744هـ)، (بيروت:1391هـ)

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي) [1]

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، (توفي:606هـ)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ط:3، (بيروت: دار إحياء التراث العربي1420هـ)

السامرائي فاضل صالح، **التعبير القرآني**، ط4، (عمان: د ار عمار، 1427هـ. 2006م)

عبد الجليل عبد الرحيم، **لغة القرآن الكريم**، ط1، (الأردن: الرسالة الحديثة،1401هـ. 1981م)

عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني، (توفي:1425)، **البلاغة العربية**، ط:1، (دمشق: دار القلم1416هـ.1996م)

محمد الطاهر بن محمد التونسي ابن عاشور، (ت:1393م)، **التحرير والتنوير**، ط: التونسية (تونس: دار سحنون 1997م)

محمد رشيد رضا، **تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط: بدون (بيروت: دار الكتب العلمية، 1971م)

محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، ط:1، (القاهرة: دار الصابوني،1417هـ. 1997)

مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، (توفي: 1356هـ)، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، ط:8، (بيروت: دار الكتاب العربي 1425هـ. 2005م)

يحيى بن علي بن إبراهيم، المؤيد بالله الحسيني العلوي الطالبي، (توفي:745هـ)، **الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، ط:1، (بيروت: المكتبة العصرية1423هـ)